"الإرهاب المعولم":

المقاتلون التونسيون في سوريا .. خرائط التجنيد والمواصفات

د. عبد اللطيف الحناشي

أستاذ التاريخ السياسي الراهن بجامعة منوبة، تونس

مثل انتقال آلاف الأفراد من مختلف الجنسيات للقتال ضد النظام الحاكم في سوريا، بدعم سياسي ولوجستي وعسكري ومالي من دول غربية وعربية؛ ظاهرة جديدة في عالمنا المعاصر الذي يعيش على إيقاع العولمة التي اكتسحت كل تفاصيل الحياة الإنسانية منذ الألفية الثالثة. وإن كان الإرهاب في غير المجال السياسي هو ظاهرة عالمية قديمة نسبيا من حيث الانتشار والممارسة.

غير أن ظاهرة الإرهاب ببعديها الديني والسياسي تبدو ظاهرة حديثة[١] اتسع نطاقها ومجالها بعد انخراط الشباب المسلم في مواجهة الوجود السوفييتي في أفغانستان (بداية من سنة ١٩٧٩) على خلفية شعار الجهاد ضد "الكفار" ليتطور ويأخذ أبعادا أخرى في البوسنة والهرسك وفي الشيشان، وصولا إلى العملية الإرهابية التي استهدفت برجي مركز التجارة العالمي بمنهاتن ومقر وزارة الدفاع الأمريكية (بنتاجون) ثم في العراق.

أما ظاهرة الانتقال للجهاد في سوريا، التي انطلقت منذ أواسط سنة ٢٠١١، فتبدو معقدة ومتداخلة في طبيعتها وأهدافها وفي الأطراف الداعمة والمورطة في تأجيجها، وفي حجم الأجانب المقاتلين، سواء منهم العرب الحاملون لجنسية الدول العربية، أو العرب الحاملون لجنسيات أجنبية، أو غيرهم من الأقوام[٢].

وقد شكل اندفاع عدد ضخم من التونسيين، بعد الثورة، للقتال في سوريا، وما تواتر عن شراستهم في القتال؛ ظاهرة بدأت غريبة ومحيرة عند قطاعات واسعة من التونسيين وغيرهم[٣]. فما الحجم "الحقيقي" للمقاتلين التونسيين في سوريا؟ وما عوامل اندفاع تلك الأعداد الضخمة من الشباب التونسي للقتال في سوريا؟ وما أبرز المواصفات العامة لعينات من المقاتلين والمعتقلين؟

أولا: حجم المقاتلين التونسيين.. من يملك الحقيقة؟

١- المقاتلون الأجانب:

من الصعب تقدير الحجم الحقيقي للمقاتلين الأجانب في صفوف المنظمات التي تقاتل النظام السوري؛ فالمعطيات متضاربة ومتناقضة، تقف وراءها، في الغالب، غايات وأهداف معينة، على أن هناك شبه إجماع على أن أرض سوريا قد تحولت إلى أكبر فضاء لتجمع "الإرهابيين"، وهو ما أكده وزير الخارجية الأمريكي" جون كيري" الذي وصف سوريا بأنها "مغناطيس الإرهاب"[٤].

١- استهوت بعض الثورات عددًا كبيرًا من المناضلين الأمميين "الألوية العالمية" الذين التحقوا بالثورة الإسبانية ومساندة حكومتها في حربها ضد فرانكو سنة ١٩٣٦، كما توافد العديد من الأوروبيين وحتى اليابانيين للقتال بجانب الفلسطينيين منذ أواسط الستينيات من القرن الماضي.

٢- المجاهدون الأوروبيون.. السياسات الأوروبية تجاه المقاتلين المهاجرين إلى سوريا http: //rcssmideast.org/ ٣-٨-٢٠١٤

٣- جحيم سوريا أم محارق تونس؟ //www.assabah.com.tn ٢٢ يونيو ٢٠١٤، نزار بوليحية.

٤- المقاتلون الأجانب في سوريا أعدادهم مجهولة http: //www.assafir.com ، عبد الله سليمان علي، ٢٠١٤/٢/٧ دون أن يسال بطبيعة الحال كيف جاء هؤلاء ومن دفعهم وأي دور لبلاده في ذلك؟

وتبدو أرقام التقارير الأمريكية والأوروبية عن عدد المقاتلين الأجانب في سوريا متناقضة؛ ففي الوقت الذي يشير فيه البعض إلى أن العدد يتراوح بين ١٢ ألف مقاتل أجنبي من ٨١ دولة مختلفة[٥]؛ يذهب آخر إلى أن العدد يصل إلى ١٥ ألف أجنبي منذ اندلاع الأزمة[٦].

وبالتوازي مع ذلك، ذكر منسق توافد المقاتلين الأجانب في تنظيم "داعش"، بالاستناد إلى السجلات التي يشرف عليها، أن ما يزيد عن ٧٠٠ "مجاهد" يدخلون سوريا شهريا للانتساب إلى "الدولة الإسلامية"، مشيرا إلى أن هؤلاء ينتمون إلى ٥٧ جنسية من مختلف دول العالم[٧]. أما مدير المخابرات الوطنية الأمريكية فأفاد بتوافد ما يزيد على ٧ آلاف مقاتل أجنبي جاءوا من نحو ٥٠ بلدا؛ منها دول كثيرة في أوروبا والشرق الأوسط[٨].

في آخر إحصائية قدمها مدير "المرصد السوري لحقوق الإنسان"، فإن عدد عناصر تنظيم" الدولة الإسلامية" في سوريا قد تجاوز ٥٠ ألفا، منهم أكثر من ٢٠ ألفا من غير السوريين من جنسيات مختلفة، خاصة الشيشانيين والأوروبيين والعرب والآسيويين والمسلمين من الصين[٩].

٢- المقاتلون التونسيون.. الحقيقة الغائبة:

تبدو أعداد التونسيين الذين يقاتلون في سوريا "متضاربة وغير دقيقة "، وهي غالبا ما تخضع للتجاذب والتوظيف السياسي الداخلي. وحتى أرقام وزارة الداخلية تبدو مرتبكة، شديدة التناقض والتضارب؛ فأحيانا تصرح بأن العدد التقريبي لهؤلاء لا يتجاوز ٤٠٠ شاب، بل تعتبر الحديث عن وجود آلاف من المقاتلين التونسيين في سوريا، أمرا مبالغا فيه[١٠]. أما آخر الأرقام التي قدمها وزير الداخلية التونسي، فهي في حدود ٢٤٠٠ شخصا، عاد منهم نحو ٢٥٠ شخصا، تم تقديمهم للقضاء، وأودع معظمهم السجن بتهمة الانتماء إلى تنظيم إرهابي في الخارج. كما أكد الوزير أن الأجهزة الأمنية في تونس منعت في الأشهر الأخيرة أكثر من ٩ آلاف شاب تونسي من مغادرة تونس للالتحاق بالجماعات المقاتلة في سوريا[١١].

٥- تقرير "١٥٠٠ مغربي يقاتلون في سوريا"http: //www.assakina.com/news/news، ٩ يونيو ٢٠١٤ تقرير صادر عن مركز الأبحاث الأمريكي (صوفان جروب).

٦- تقرير إسباني يكشف مخاوف أوروبا من قاعدة المغرب الإسلامي، عودة المقاتلين بسوريا والعراق خطر على شمال إفريقيا ! http: //www.assabah.com.tn/٢١ يوليو ٢٠١٤.

٧- المجاهدون الأوروبيون.. السياسات الأوروبية تجاه المقاتلين المهاجرين إلى سوريا http: //rcssmideast.org/٣-٨-٢٠١٤، أيضًا المقاتلون الأجانب في سوريا أعدادهم مجهولة http: //www.assafir.com ، عبد الله سليمان علي تاريخ المقال ٢٠١٤/٢/٧.

٨- المقاتلون الأجانب في سوريا أعدادهم مجهولة http: //www.assafir.com ، عبد الله سليمان ٢٠١٤/٢/٧.

٩- ٥٠ألفاً في جيش «داعش» السوري، http: //alhayat.com/الأربعاء، ٢٠ أغسطس/ ٢٠١٤.

١٠- وزير الداخلية يعلن عن نحو ٤٠٠ مقاتل تونسي في سوريا وسط تضارب في الأرقام، تونس- أفريكان مانجر ١٩ أبريل ٢٠١٣.

١١- لطفي بن جدّو: "عدد المقاتلين التونسيين الملتحقين بسوريا في حدود ٢٤٠٠ شخص"، 13-9-2014 http: //www.shemsfm.net من مقابلة مع في مقابلة مع قناة العربية.

ينسحب هذا التضارب على عدد القتلى التونسيين. من ذلك أن إحدى وكالات الإحصاء الأمريكية قد حددت عددهم بنحو ١٩٠٢ قتيل[١٢] فيما تفيد وزارة الداخلية بأن ٣٥٠ تونسيا فقط قتلوا في سوريا.

ثانيا: العوامل المحفزة للانتقال الجهادي في سوريا

١- إرث الجهاديين التونسيين:

ازداد نشاط التيار الجهادي التونسي داخل البلاد منذ أواخر التسعينيات من القرن الماضي، بعد انضمام عدد مهم من الشباب إلى تنظيم طالبان وتكوين معسكر خاص بهم "معسكر التوانسة"، من قبل سيف الله بن حسين المكنى بـ"أبو عياض التونسي"[١٣]، وظل بعضهم في أفغانستان، فيما بعد، فيما انتقل البعض الآخر إلى بؤر التوتر في الشيشان والبوسنة والهرسك[١٤]. أما داخل تونس فقام هذا التيار ببعض الهجمات المسلحة في عهد النظام السابق، الذي لم يتردد في القيام بحملة واسعة ضد أفراد التيار، وسجن منهم المئات، خاصة بعد صدور قانون الإرهاب[١٥]. واستفادت عناصر التيار، بعد الثورة، من صدور العفو التشريعي العام (٢٠١١/٢/١٩) وانتشروا في مختلف أجزاء البلاد، وسجلوا حضورهم في أغلب التحركات السياسية والاجتماعية، بلباسهم وسلوكهم المختلف، وعقدوا أول لقاء علني لهم في إحدى مناطق العاصمة في مايو ٢٠١١. وبعد سنتين من النشاط السلمي، بدأت تلك المجموعات، وخاصة أنصار الشريعة، تمارس العنف بالتدرج ضد المثقفين والمبدعين والفنانين، و"غزوة" السفارة الأمريكية واغتيال زعيمين سياسيين بارزين (شكري بلعيد والحاج محمد البراهمي)، وصولا إلى العمليات المختلفة ضد عناصر الجيش والأمن.

١٢- دراسة رسمية أمريكية تكشف: ١٩٠٢ قتيل تونسي في سوريا!! 2013-7-22 http: //alikhbaria.com- وهي وكالة البينتابوليس للإحصاء الأمريكية.

١٣- سيف الله بن حسين المعروف بأبي عياض، ولد سنة ١٩٧٠، من أبناء الضاحية الجنوبية بالعاصمة التونسية طارده نظام بن علي فالتجأ إلى المغرب (١٩٩١) حيث درس الحقوق قبل أن تلاحقه السلطات هناك، فاتّجه إلى لندن وتقدّم بطلب اللجوء السياسي في ١٠ فبراير ١٩٩٤، وبقي أبو عياض ينشط في السّر، حيث تتلمذ على يد أقطاب الفكر الجهادي مثل أبو قتادة والسعودي زيد ّر الحائري ثّم غادر لندن وظلّ متخفّيا في باكستان تنقّل أبو عياض بين بلدان عديدة، عاش في سوريا ثّم سافر إلى أفغانستان ومنها إلى العراق، خلال تنقّلاته اكتسب خبرة في مجال التنظيم والتنسيق المحكم وقدرة على إدارة جماعات سلفية متشدّدة. سافر سيف الله بن حسين إلى تركيا سنة ٢٠٠١ وبقي هناك حوالي السنتين وقد كان اسمه معروفا لدى دوائر الاستخبارات الغربية التي كانت تتهمه بالعلاقة مع تنظيم القاعدة، فاعتقل في ٣ فبراير ٢٠٠٣ وتم ترحيله إلى تونس أين حكم عليه بأكثر من ٤٠ سنة سجنا بتهمة الخيانة العظمى والانتساب للقاعدة والى تنظيمات إسلامية مختلفة- قضى منها ٨ سنوات قبل أن يتم إطلاق سراحه في مارس ٢٠١١ بعد اندلاع الثورة.

١٤- "السلفية الجهادية في تونس.. المخزون البشري ومصادر التمويل"، http: //www.lemaghreb.tn/الأربعاء ١٩ فبراير ٢٠١٤، حسان عيادي.

١٥- صدر قانون الإرهاب في ٢٠٠٣/١٢/١٠. أما أهم العمليات الإرهابية فهي:

- أبريل ٢٠٠٢: تفجير كنيس "الغريبة" اليهودي في جزيرة جربة جنوب شرق تونس؛ ما أدى إلى مقتل ١٤ شخصًا؛ منهم ٦ سياح ألمان، و٦ تونسيين، وسائح فرنسي، وجرح ما يزيد عن ٣٠ شخصًا، أعلن المتحدث باسم تنظيم القاعدة آنذاك سليمان أبو غيث مسئولية تنظيمه. منفذ العملية كان شابًّا تونسيًّا يدعى نزار نوار من مواليد ١٩٧٨، لقي حتفه في الحادث.

- ديسمبر ٢٠٠٦: حصول مواجهات مسلحة بين مجموعة جهادية تسمى "جند أسد بن الفرات" وقوات الأمن والجيش التونسي بجهة سليمان (جنوب العاصمة تونس)، خلفت مقتل ضابط سامٍ في الجيش التونسي، والقضاء على بعض عناصر المجموعة، والقاء القبض على البعض الآخر، وأعقبتها حملة اعتقالات كبرى في صفوف التيار السلفي.

- أبريل ٢٠١٠: قامت أحد الخلايا الجهادية بوضع كمين لشرطيين؛ ما أدى إلى مقتل أحدهما وجرح الآخر، بعد أن استدرجهما بنداء استغاثة كاذب بجهة سوسة على الساحل الشرقي.

وبين هذا وذاك، كان الشباب السلفي ينظم الشباب للالتحاق بجبهة القتال في سوريا[١٦]، لكن لا يمكن اعتبار كل من سافر للقتال إلى سوريا "سلفيا جهاديا" بالضرورة، كما سنبين ذلك لاحقا.

٢- الدعاية الدينية المركزة ضد النظام السوري:

عمل معارضو النظام السوري وأعداؤه، من سوريين وغيرهم، على تشويه صورة ذاك النظام، وتحريض المسلمين ضده، على خلفية دينية في الأساس. من ذلك تكفيره و"إبراز" ما تدعي أنها أعمال وحشية ارتكبها كهدم المساجد واغتصاب النساء المسلمات[١٧] وفتك قوات الأسد و"شبيحته" بالمسالمين من الناس[١٨] كما يتم تعبئة المسلمين الشباب على أساس مذهبي طائفي، واعتبار سوريا أرض جهاد ضد "النصيريين" وحلفائهم من "الصفويين". من ذلك أن إحدى الجمعيات الخيرية في تونس دعت أحد الشيوخ الخليجيين إلى إلقاء دروس تدعو إلى الوهابية ومحاربة الشيعة[١٩].

٣- دور "الدعاة" العرب والمثقفين والسياسيين:

لعب الدعاة والشيوخ[٢٠] وبعض المثقفين المحسوبين على ما يعرف بـ"الإسلام السياسي"، في المرحلة الأولى من الصراع؛ دورا مهما في دفع الشباب العربي المسلم للقتال ضد النظام السوري. واعتبر بعضهم القتال في سوريا "فرضا دينيا"[٢١] فيما عد أحدهم عن خجله "ممن يعتبر جهاد الشباب التونسي في سوريا جرما"[٢٢]. وبالتوازي مع ذلك، زار تونس منذ سقوط النظام، عشرات من شيوخ الدين الخليجيين والمصريين، الذين كانوا يحرضون الشباب على قتال نظام الأسد[٢٣].

٤- توظيف وسائل الاتصال والتواصل الحديثة:

أكدت دراسة صادرة عن المركز الدولي لدراسة التطرف، بالجامعة الملكية في لندن، في منتصف أبريل ٢٠١٤، ازدياد اعتماد التنظيمات الجهادية في سوريا على مواقع التواصل الاجتماعي، في تجنيد متطوعين؛ حيث

١٦- قيادي السلفية الجهادية سيف الله بن حسين (أبو عياض) يتحدث لـ"الأسبوعي": http: //www.assabah.com.tn/article-66317.html

١٧- ترك مقاتل تونسي سافر "للجهاد" في سوريا رسالة مسجلة عبر فيديو قال فيها إنه أقدم على القيام بعملية انتحارية "للانتقام من الذين يقصفون المساجد ويغتصبون الأمهات والأخوات السوريات. واعتذر الهالك عن تأخر دعم "الشباب التونسي للشعب السوري، متمنيًا أن تكون هذه العملية سببًا في "زعزعة النظام السوري". مقاتل تونسي في سوريا يترك رسالة قبل قيامه بعملية انتحارية أدت إلى سقوط ضحايا، http: ///www.africanmanager.com ٢٠١٣/٤/٨

١٨- أبو طلحة التونسي وتجربته الجهادية في سوريا http: //nawaat.org/.

١٩- حقائق عن الزحف الوهابي على تونس، http: //www.ssrcaw.org، ٢٠١٢/٩/٢٩، أحمد النظيف.

٢٠-كيف أضحت الحرب الأهلية في سوريا حربًا مقدسة؟ http: //www.washingtoninstitute.org / توماس هيجهامر وهارون ي. زيلين، ٧تموز/يوليو ٢٠١٣.

٢١- "القرضاوي يحث السنة على التوجه للقتال في سوريا"، http: //www.bbc.co.uk/ ١ يونيو/ حزيران، ٢٠١٣، أيضًا: "القرضاوي: (النصيرية) أكفر من اليهود والنصارى"، http: //www.echoroukonline.com.

٢٢- في الأصل تغريدة كتبها الأستاذ أبو يعرب المرزوقي على حسابه في فيس بوك بتاريخ ٢٠١٣/٢/٢ ونقلتها الجريدة التونسية اليومية "السور" بتاريخ ٢٠١٣/٦/١٦. ومن هذه المواقع الفيس بوكية، صفحة " Talaba Revolution"، و"كلنا جبهة النصرة"، و"شيوخ السلفية بتونس".

٢٣- حقائق عن الزحف الوهابي على تونس، http: //www.ssrcaw.org، ٢٩-٩-٢٠١٢، أحمد النظيف.

استقطبت تلك التنظيمات ما لا يقل عن ١١ ألف مقاتل أجنبي؛ منهم ١٩٠٠ متطوع من دول أوروبية[٢٤].وتوصلت الدراسة إلى أن ٦١.٥% من بين الحسابات الأنشط في تجنيد المتطوعين، تتبع تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" داعش، ونحو ١٧.٥% من الحسابات تتبع جبهة النصرة، فيما لا يتجاوز نصيب الجيش السوري الحر ولواء التوحيد وأحرار الشام نحو ٢% من تلك الحسابات الإلكترونية[٢٥]. من جهة أخرى، رصد تقرير صادر عن معهد الشرق الأوسط لدراسات الإعلام بواشنطن، عن تحول هيكلي في نمط الخطاب الذي توجهه التيارات الجهادية بهدف اجتذاب المتطوعين؛ إذ تم التركيز على صناعة صورة أكثر جاذبية عن الجهاد في سوريا، بالتركيز على قدرة ممارسة "الجهاديين "حياتهم العادية، مثل استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة، والإفادة من بعض المزايا كغنائم الحرب، والزواج وإمدادات الطعام والسيارات الخاصة[٢٦]، كما تحفل الصفحات الخاصة بالسلفيين "الجهاديين" في تونس بدعوة الشباب التونسي إلى القتال في كل من سوريا والعراق، تحت مسمى "الجهاد". وتكشف هذه الصفحات عن اتصالات أصحابها المباشر بجهاديين في سوريا وتنسيقها معهم[٢٧]. وتعتبر الفضائيات من أهم مصادر "المعرفة الدينية" وأنجعها لأفراد التيار وشيوخه؛ فعبرها يلقي هؤلاء الدروس والفتاوى والتوجيهات التي يتفاعل معها المريدون.. من ذلك دعوة الشباب وتحريض المراهقين على السفر إلى بلاد الشام

٥- دور الشبكات:

بدأ كشف النقاب عن وجود بعض الشبكات والخلايا التي تقوم بتسفير الشباب التونسي لـ"الجهاد" في سوريا من أجل الربح المادي[٢٨] بعد تعيين وزير داخلية يوصف بأنه "محايد" في ظل حكومة "الترويكا" الثانية، برئاسة السيد علي العريض. وازداد نشاط الأجهزة الأمنية المختصة بعد تولي حكومة التكنوقراط، فتم تفكيك عدد مهم من شبكات تسفير الشباب إلى سوريا يقودها تونسيون وليبيون وأفارقة ينتمون إلى ما يسمى "أنصار الشريعة" أو القاعدة بشمال إفريقيا[٢٩].

٦- تمويل "حركة الجهاد" إلى سوريا

تحدث وزير الداخلية التونسي، عن أموال تعطى وشبكات تمول لتسفير الشباب للقتال في سوريا[٣٠]. وتتهم بعض وسائل الإعلام التونسية دولا خليجية بعينها بتمويل أكثر من ٢٠ جمعية «خيرية» بمبالغ مالية تجاوزت ١٠ مليارات لتتولى تجنيد شبان تونسيين وإرسالهم إلى دولتي سوريا ومالي؛ للمشاركة في نزاعات مسلحة يشهدها هذان

٢٤- شبكات الاستقطاب: أبعاد وتداعيات تجنيد المقاتلين الأجانب في سوريا عبر الإنترنتhttp: //rcssmideast.org / ٠٦ أيار ٢٠١٤ محمد عبد الله يونس

٢٥- نفس المرجع.

٢٦- المرجع نفسه.

٢٧- دعوات تونسية للقتال ''الجهادي'' على الفيسبوك وسط تغافل وزارة الداخلية، أفريكان مانجر، تونس ٢٣-١٢-٢٠١٢

٢٨- فيما تؤكد تقارير إخبارية مقتل أكثر من ١٠٠ تونسي، وتفكيك عدة شبكات تهريب «الجهاديين» إلى سوريا وإيقاف ١٥ شخصًا http: //www.assabah.com.tn/article-88055.html، ٢٠١٣/٤/٢٦

٢٩- لطفي بن جدو: نجحنا في تفكيك ٦ شبكات تسفير جهاديين، http: //www.assabah.com.tn، ١٢ مايو ٢٠١٤.

٣٠- المرجع نفسه.

البلدان[٣١] غير أن ذلك لا ينسحب على جميع من يرغب من الشباب في الانتقال إلى سوريا للقتال؛ فبعض الشباب المتحمس ينتقل إلى سوريا اعتمادا على إمكانياته الخاصة دون طلب مساعدة الجمعيات ودون لجوء هذه الأخيرة إليه أيضا[٣٢].

٧- مؤسسة السجن:

تشير بعض التحقيقات إلى أن عددا مهما من الشباب الذين يسافرون إلى سوريا للقتال هم من قدماء المساجين؛ فمن داخل السجون يتم تأهيلهم أيديولوجيا ونفسيا بدعم من بعض الجمعيات. وتشير بعض المصادر إلى أن عددا من الذين انتقلوا للقتال كانوا من قدماء المساجين الذين استفادوا من قرار العفو التشريعي العام الذي صدر بعد الثورة[٣٣].

٨- دور الجمعيات الخيرية:

شهدت تونس بعد الثورة طفرة كبيرة في بعث الجمعيات[٣٤]. وتهتم جمعيات ذات طابع خيري بالقيام بدور مزدوج؛ ففي الظاهر تنشط في مجال جمع التبرعات للتدخلات الإنسانية والاجتماعية تحت غطاء قوافل المساعدات، في الوقت الذي تحث فيه الشباب على الجهاد والتجهيز له ودعمه ماليا[٣٥]، وهو أمر أكدته مؤخرا وزارة الداخلية التي أفادت بأنها أوقفت نشاط نحو ١٥٧ جمعية ذات طبيعة خيرية ودعوية، تتلقى تمويلات من الخارج وتجمع تبرعات بطريقة غير قانونية ومتورطة في تسفير الشباب التونسي إلى سوريا[٣٦]. وقد استغل بعض الأفراد هذا المناخ العام المتعاطف مع "الجهاد" في سوريا فأطلقوا لحاهم، وادعوا انتماءهم إلى السلفية، وأسسوا شبكات لجمع الأموال بغاية

٣١- "الجهاديون التونسيون في سوريا .. شباب في المحرقة" http: //www.alchourouk.com ! تونس، ٢٧ ديسمبر ٢٠١٢، أيضًا "إمارة قطر مولتها بالمليارات.. جمعيات «خيرية»: نرسل أبناءنا إلى سوريا ومالي وبلد مغاربي مجاور، http: //www.alchourouk.com تونس، ١٨ جانفي ٢٠١٣.

٣٢- حالة الشاب (أصيل ولاية القصرين) وهو تقني سامٍ كان سافر إلى سوريا وانضم إلى كتيبة «محمد» المنتمية إلى الجيش السوري الحر، وقد تلقى تدريبات عسكرية هناك. تم إلقاء القبض عليه أثناء عودته إلى تونس، تمكن من جمع مبلغ مالي قدره ١٢٠٠ دينار، وقام بتحويلها إلى عملة أوروبية (٦٠٠ أورو)، وتحول من تونس إلى إسطنبول عاصمة تركيا باستعمال الطائرة، وقد اتصل بأحد الأشخاص هاتفيًّا فأشار عليه بالتحول عبر الطائرة إلى منطقة «غازي عنتاب». وهناك قدم إليه شخص سوري الجنسية وتكفل بإيصاله إلى الحدود التركية السورية بمبلغ مالي قدره ٦٠ يورو. للقيام بعمليات إرهابية في تونس. عائد من سوريا يكشف أسرار الجهاد: انتميت إلى «كتيبة محمد». وأترك ساعدونا بمقابل http: //www.alchourouk.com/ ٢٠١٤/٥/٢٣.

33- Syrie.. Pourquoi la Tunisie fournit-elle autant de terroristes ? http: //www.tunisiadaily.com/VENDREDI 27 JUIN 2014

- Les prisons françaises, hauts-lieux des vocations djihadistes et antisémites es/4-6-2014 et http: //www.mc-doualiya.com السجون الفرنسية، قنبلة موقوتة/ http: //www.mc-

ويرى البعض أن المنبت الأول والأساسي للتطرف والإرهاب هو السجن. وتذكر صحيفة "لوفيجارو" وجود نحو ١٥٠ من الموقوفين المتطرفين الذين يعملون على تعبئة المساجين الشباب. كما أن مهدي نموش، الذي هاجم المتحف اليهودي في بروكسل، تطرف إسلاميًّا في السجن قبل أن يقاتل في سوريا بجانب "داعش" كما فعل العديد من خريجي السجون من شباب أوروبا.

٣٤- بلغ عدد الجمعيات حاليًّا ١٦٦٠٠ جمعية منها نحو ٦ آلاف جمعية أحدثت بعد الثورة، ولا ينشط من المجموع العام لتلك الجمعيات إلا نحو ٧٪ فقط. وتمثل الجمعيات التي تنشط تحت غطاء ديني نحو ٤٨٪.

٣٥- أرسلت المئات إلى سوريا ومالي.. مساجدنا تفرّخ «الجهاديين»، الشروق تونس، ١ فبراير ٢٠١٣.

٣٦- ١٢٠ جمعية شملها قرار تعليق النشاط من بين ١٥٧ جمعية لها علاقة بالإرهاب http: //www.essahafa.info.tn/٢٠١٤/٨/١٦.

الربح المالي، تحت شعار "مؤازرة الجهاد في سوريا"، و"جاهد بمالك"، وهم في الأصل "مجرمو حق عام" في "حالة فرار من العدالة ومفتش عنهم في قضايا أخلاقية ومخدرات"[٣٧].

٩- دور المساجد:

تسيطر الجماعات السلفية الجهادية على عدد كبير من المساجد. ويستثمر السلفيون تلك الفضاءات الخارجة عن سيطرة الدولة[٣٨] لاستقطاب الشباب الوافدين إلى الجوامع[٣٩] غير أن ذلك لا يقتصر على السلفيين، بل إن التهمة تتوجه إلى بعض الأطراف المحسوبة على حزب النهضة أيضا؛ فعدد من الأئمة، وحتى من رجال السياسة، حرضوا علانية الشباب على ضرورة التحاقهم بالجهاد في سوريا خاصة[٤٠].

١٠- العوامل النفسية والاجتماعية:

توجد عوامل ذاتية ذات أبعاد دينية. ولدى بعض الشباب اعتقاد أنه، وباعتبار عدم قدرتهم المادية على مساعدة "المجاهدين"، فإنهم يقدمون على الجهاد بالنفس[٤١] كما تلعب العوامل النفسية (إحباطات وخيبات في العمل أو في العائلة) دورا في استعداد الشباب للقتال في سوريا[٤٢] كما هناك من الشباب من يذهب للقتال من باب المغامرة[٤٣].

٣٧- وزير الداخلية يعلن عن نحو ٤٠٠ مقاتل تونسي في سوريا وسط تضارب في الأرقام، تونس- أفريكان مانجر.

٣٨- قدّرت وزارة الشئون الدينية، في سنة ٢٠١٢/ عدد المساجد الخارجة عن سيطرتها بأكثر من ٤٠٠ مسجد، نجحت إلى حد الآن في استرداد ٣٠٠ مسجد منهم فقط، فيما ظل الـ١٠٠ مسجد يخضعون لسيطرة التيارات السلفية الجهادية، "السلفية الجهادية في تونس.. المخزون البشري ومصادر التمويل"http: //www.lemaghreb.tn/الأربعاء ١٩ فبراير ٢٠١٤، حسان عيادي".

٣٩- الأمين العام لنقابة الأئمة يكشف لـ«الشروق»: ١١٠٠ إمام متشدد يحرضون شبابنا على الجهاد في سوريا، http: //www.alchourouk.com، تونس ١٤/٥/٢٠١٤.

٤٠- منهم نور الدين الخادمي وإمام جامع اللخمي بصفاقس: الأئمة المحرّضون على القتال.. جريمة دون عقاب، www.assabah.com.tn/ تونس ٢٤ مارس ٢٠١٤، الأول وزير الشئون الدينية.

٤١- أبو طلحة التونسي.. وتجربته الجهادية في سوريا http: //nawaat.org/.

٤٢- أبو حفص التونسي (أسامة السيدي) التحق بجبهة نصرة الشام الفرع السوري لتنظيم القاعدة، وتحديًا إحدى كتائبها المسماة "كتيبة صقور الشام"، وهو من مواليد ١٩٩٠ كان قد التحق بساحة الجهاد.

دوافع رحيله إلى سوريا وانخراطه في القاعدة: تقول عائلته إن أسامة قد هاجر بطريقة غير شرعية إلى فرنسا، ومكث فيها بعض الوقت، إلا أن سلطات الهجرة الفرنسية رحّلته فعاد إلى تونس بوضع نفسي حرج، ودخل في حالة من الإحباط، خاصةً بالنظر إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها البلاد، فقرر الهروب من هذا الواقع المرير إلى الشهادة في سبيل الله، ولنصرة الشعب السوري، فتوجه إلى سوريا عبر ليبيا وتركيا. وبعد مكوثه هناك وقتًا غير طويل، حالت ظروف ميدانية دون بقائه، فاضطر إلى العودة لتونس، وأخذ في تكرار المحاولة من أجل العودة إلى سوريا والانخراط مجددًا في صفوف جبهة النصرة، وكان له ما أراد؛ حيث استطاع أن يعود.

٤٣- مثال أبو طلحة، وعمره ٢٤ سنة، من تونس. ذهب في بداية شهر أكتوبر ٢٠١٢، وعاد في شهر فبراير ٢٠١٣. يقول: "كانت مغامرة، لم نحضّر أي شيء ولم نعرف أي شيء. وفي ذلك الوقت كان نادرًا موضوع ذهاب التونسيين إلى سوريا للجهاد.وقبل ذهابنا مباشرةً تم اعتقال ١٩ تونسيًا من قبل المخابرات السورية في مدينة إدلب، وتم إيداعهم السجن المركزي في إدلب إلى ما قبل تحريره بأيام؛ حيث تم ترحيلهم إلى سجن في دمشق، وإلى الآن لا يزالون هناك؛ لذا كان الموضوع مغامرة بالنسبة إلينا محفوفة بالمخاطر. ذهبت مع صديقي إلى تركيا ووصلنا إلى منطقة الريحانية في أنطاكية؛ حيث مخيمات اللاجئين، وأمضينا هناك ٣ أيام. قمنا نحن بدفع ثمن تكاليف السفر من جيوبنا، وذهبنا وحدنا إلى الريحانية"، أبو طلحة التونسي.. وتجربته الجهادية في سوريا http: //nawaat.org/.

١١- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

رغم أن معتقدات الناس وأفكارهم لا علاقة لها مباشرة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فيما يتعلق بالتشدد والمغالاة؛ فإن قطاعا واسعا من الشباب -بحكم واقع التهميش الاجتماعي، وأحيانا النفسي والقيمي- يجد نفسه منجذبا إلى أفكار التطرف والإرهاب، خاصة في الأحياء الشعبية، بل وفي غيرها من الأحياء في العاصمة، وفي مختلف مدن الجمهورية، فيتحولون إلى مجرد ضحايا وأدوات في أيدي بعض الأطراف ذات النفوذ المالي والسياسي وتحت غطاء ديني زائف.

١٢- العوامل السياسية:

أدان مفتي الجمهورية التونسية تحوّل التونسيين إلى سوريا للقتال[٤٤]. أما حكومة الترويكا ورئاسة الجمهورية بعد الثورة، فاتخذتا مواقف سياسية ودبلوماسية أعطت مبررا لعدة أطراف للنشاط والعمل من أجل توظيف الشباب للقتال في سوريا، كما وفرتا "شرعية أو مبررا "قانونيا للشباب التونسي، باعتبار أن تونس كانت أول دولة تعلن قطع علاقاتها الدبلوماسية مع سوريا، وكانت أول دولة تعترف رسميا بالمعارضة السورية، وثاني دولة في العالم تعقد على أراضيها مؤتمر أصدقاء سوريا (٢٠١٢/٢/٢٤) بإشراف الرئيس التونسي السابق المنصف المرزوقي، وبحضور أحزاب الترويكا الحاكمة[٤٥].

١٣- موقف الأحزاب السياسية:

تباينت مواقف الأحزاب السياسية التونسية مما يحدث في سوريا، منذ أن حادت الثورة السورية عن أهدافها الوطنية والديمقراطية؛ ففي الوقت الذي عارضت فيه أغلب الأحزاب المدنية، باستثناء "حزب المؤتمر من أجل الجمهورية"، و"حزب وفاء" المنشق عنه، وأدانت العنف المتبادل بين النظام الحاكم والتنظيمات السلفية متعددة الجنسيات. و عرت الأحزاب ذات الخلفية الدينية عن مساندتها وتضامنها مع ما تطلق عليه "الثورة السورية"، غير أن موقف تلك الأحزاب من مسألة الجهاد والدعوة إليه يبدو متباينا[٤٦] فمن جهة، لا نجد حزبا له موقف رسمي وواضح مؤيد للجهاد أو محرض للشباب على الجهاد، رغم وجود دعوة ضمنية في الخطب والأحاديث التي لا تستنكر ذلك، بل تتفهم سلوك الشباب. من ذلك ما أكده الأستاذ راشد الغنوشي بقوله[٤٧]. أما القيادي في حركة النهضة الحبيب اللوز فاعتبر أن الجهاد غاية سامية وهدف نبيل، معبرا عن مساندته عائلات الجهاديين الذين اختاروا الذهاب للقتال في سوريا[٤٨]، فيما أكد الناطق الرسمي لـ"حزب التحرير"، أن "كل أبناء الأمة يبحثون عن الجهاد ضد

٤٤- مفتي الديار التونسية: الشباب السلفي في سوريا خطر على تونس، المصدر تونس ٢٠١٣/٤/١٩.

٤٥- ملف «الجهاد» بسوريا: السلطات القضائية في مأزق بسبب تصريحات المرزوقي، http: //www.alchourouk.com/ تونس، ٢٤ مارس ٢٠١٣ .وهي حزب المؤتمر وحزب النهضة وحزب التكتل.

٤٦- تتهم عدة أطراف سياسية وصحفية حزب النهضة بأنه يسهم في تجنيد الشباب للانتقال إلى سوريا للقتال مع انطلاق العنف، لكنه توقف بعد ذلك، خاصةً بعد تراجع قوة الجيش الحرّ وتمدد جماعة النصرة.. انظر مقال: "أخطر من يجنّد التونسيين إلى سوريا"، آخر خبر عدد مؤرخ في ٢٦ مارس ٢٠١٣.

٤٧- الغنوشي وحدة الإسلاميين في الجزائر مشروع جاد سيرى النور قريباً، http: //www.echoroukonline.com/ الجزائر ٢٠١٣/٦/١٥.

٤٨- عائلات المجاهدين التونسيين: ٣٠% من الجهاديين في سوريا يحملون الجنسية التونسية، www.mosaiquefm.net//٢٠١٣/١١/١٦.

الاستعمار في العراق أو في سوريا التي تعيش الدكتاتورية"، معتبرا أن من يصف "هذه الأعمال كشكل من أشكال الإرهاب، فذلك من باب "الفزاعة التي تعتمدها الأنظمة للتغطية على أفعالهم"[٤٩].

ثالثا: المواصفات الجغرافية والاجتماعية للمقاتلين التونسيين:

تمكنا من تحديد المواصفات الجغرافية والعمرية والمهنية لنحو ٧٢ حالة لتونسيين قتلوا في سوريا في الفترة الممتدة بين أواسط ٢٠١١ وأواخر ٢٠١٣[٥٠] ورغم عثورنا على أسماء عدد كبير من القتلى التونسيين، اعتمدنا من توافرت حولهم المعطيات الأساسية المطلوبة، وهي: الاسم والعمر ومنطقة الولادة، والمهنة[٥١].

١- المواصفات الجغرافية:

أ- القتلى: الأغلبية من منطقة الساحل والمدن الساحلية.

٤٩- دعوات تونسية للقتال "الجهادي" على فيس بوك وسط تغافل وزارة الداخلية، أفريكان مانجر، تونس ٢٠١٢/١٢/٢٣.

٥٠- بلغ عدد القتلى من التونسيين ١٩٠٢ قتيل إلى حدود أواخر شهر ديسمبر ٢٠١٣ حسب إحدى وكالات الإحصاء الأمريكية.

٥١- أعددنا هذه القائمات التي تتضمن أسماء القتلى ومكان ولادتهم وأعمارهم بين الفترة الممتدة ٢٠١١ – ٢٠١٢ – ٢٠١٣ اعتمادًا على تقارير المنظمات الحقوقية ومراكز توثيق الانتهاكات في سوريا وخارجها، وعلى البيانات التي أصدرها المركز السوري توثيق القتلى الأجانب في الصراع السوري، بالإضافة إلى التقارير الإعلامية وما يعلن عنه التيار الجهادي في مؤسساته الإعلامية، وعلى صفحاته الرئيسية المعتمدة على مواقع التواصل الاجتماعي:

Syrie : Pourquoi la Tunisie fournit-elle autant de terroristes ? http: //www.tunisiadaily.com/ ACTU | VENDREDI 27 JUIN 2014 22: 37: 08

القتلى التونسيون في سوريا بالأسماء http: //www.hakaekonline.com ٢٠١٣/٩/٢٧.

الولاية	العدد الإجمالي	حسب المناطق
ولاية سوسة	١٠	سوسة المدينة (١) سيدي الهاني (١) هرقلة (٢) برجين (مساكن ١) القلعة الكبرى (٥)
ولاية أريانة	٢	أريانة الشمالية (١) المنزه ٩ (١)
ولاية منوبة	٨	المدينة (٢) دوار هيشر (٤) الدندان (١) حي التضامن (١)
ولاية صفاقس	١	المدينة
ولاية قبلي	٢	من سوق الأحد
ولاية القصرين	٢	تالة (٢)
باجة	١	تبرسق
مدنين	٦	بني خداش (٢) جربة (٢) بنقردان (٢)
المنستير	٦	زرمدين (١) المدينة (١) جمال (٣) مكنين (١)
نابل	٤	منزل تميم (١) قرمبالية (٢) سليمان (١)
بن عروس	٣	المدينة
سيدي بوزيد	٣	المدينة
بنزرت	٨	المدينة (١) سجنان (٢) منزل بورقيبة (٣) رأس الجبل (١) تينجة (١)
تونس	٥	الزهروني (١) حي ابن خلدون (١) السيجومي (١) حي الخضراء (١) الكرم (١)
المهدية	٤	شربان (١) قصور الساف (٣)
القيروان	٢	المدينة (١) شربان (١)
قفصة	٢	المدينة (١) المتلوي (١)
تطاوين	٢	المدينة
جندوبة	١	المدينة
الجملة	٧٢	

من عينة القتلى هذه، نلاحظ أن ٢٠ من ٧٢ من القتلى، هم من منطقة الساحل (محافظة سوسة ١٠، ومحافظة المنستير ٦، ومحافظة المهدية ٤). وتعتبر منطقة القلعة الكبرى التابعة إداويا لمحافظة سوسة من أكثر المناطق تصديرا للمقاتلين. ثم تأتي منطقة تونس الكبرى (تتكون من ٤ محافظات؛ هي: تونس، ومنوبة، وبن عروس، وأريانة) بـ١٨ من ٧٢ قتيلا في المرتبة الثانية. وفي المرتبة الثالثة محافظة بنزرت (شمال مدينة تونس العاصمة) بـ٨ قتلى، وهي من أهم المناطق الصناعية والفلاحية في البلاد، ثم تأتي محافظة مدنين (أقصى الجنوب الشرقي) في المرتبة الرابعة.

وتعتبر هذه الولاية -وتحديدا معتمدية بنقردان الحدودية- موقعا متقدما أيضا، يتجمع فيه الأفراد الذين يرغبون في الانتقال إلى سوريا عبر ليبيا، سواء للبقاء في هذه الأخيرة للتدريب، أو الانتقال مباشرة إلى تركيا بالطائرة ومنها يستقلون الحافلة إلى "أنطاليا"، ومنها يعبرون الحدود إلى الأراضي السورية[٥٢].وبالنتيجة، نلاحظ أن عدد القتلى من مناطق الشمال الغربي (مناطق الزراعات الكبرى) ومناطق الجنوب الغربي (الحوض المنجمي) محدودا مقارنة بالمناطق الأخرى.

وتقف وراء هذه الظاهرة عدة عوامل اقتصادية واجتماعية وثقافية، وهو أمر يعاكس بعض التصورات السائدة التي تقول إن أقصى الجنوب التونسي هو خزان المقاتلين التونسيين في سوريا أو تلك التي تقول بأن معظم أبناء التيار السلفي بأنواعه هم من أبناء الشمال (ولاية بنزرت) والشمال الغربي (ولاية جندوبة)، والوطن القبلي، والحزام الأحمر لإقليم تونس الكبرى. وليس صحيحا أيضا ما ذهب إليه البعض من أن الطابع الجهادي والعنفي لا يوجد إلا في المناطق التي لا تعرف قاعدة اجتماعية محافظة، بحيث جاء اكتشافها للدين عبر الفضائيات الخليجية وفيس بوك[٥٣]؛ إذ يعتبر سكان إقليم الساحل من أكثر سكان البلاد التونسية محافظة (مجتمع فلاحي وتجاري عريق).

ومن أكثر المناطق أيضا التي عرفت تحولات اجتماعية وثقافية عميقة نتيجة تعدد المشاريع الاقتصادية السياحية ،خاصة الصناعات الخفيفة التي انطلقت منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي، بالإضافة إلى انتصاب مشاريع اقتصادية أجنبية استوعبت عددا كبيرا من العمال، ذكورا وإناثا، وهو أيضا من أكثر المناطق التي انتشرت في ربوعه الحركة الإسلامية بكل تياراتها[٥٤] وهي التحولات التي عرفتها المدن الساحلية الكبرى مثل بنزرت، وهي من أهم المدن التي ركز فيها الاستعمار قواعد عسكرية وقاعدة صناعية، ثم توسع دورها في الصناعة الوطنية بعد الاستقلال، فيما كان نصيب المدن الداخلية من التنمية محدودا منذ الاستعمار، وتواصل الأمر بعد الاستقلال؛ لذلك حافظت المناطق الداخلية على تأخرها على المستوى التنموي مقارنة بالمناطق الساحلية[٥٥].

٥٢- لطفي بن جدو: نجحنا في تفكيك ٦ شبكات تسفير جهاديين، http: //www.assabah.com.tn، ١٢ مايو ٢٠١٤.

٥٣- أستاذ علم الاجتماع السياسي الدكتور عبد الوهاب بن حفيظ لـ«الشروق»، تونس ٢٧ سبتمبر ٢٠١٢.

٥٤- الهرماسي (عبد الباقي)، الإسلام الاحتجاجي في تونس، في الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت لبنان ٢٠٠٤، ط ٤، ص ٢٤٥.

٥٥- الاتحاد العام التونسي للشغل، التشغيل والتنمية بولاية قفصة.. الواقع والآفاق، قسم الدراسات والنزاعات والدراسات والتوثيق، تونس نوفمبر ٢٠١٠، ص ١٦٤، ص ١٦-١٧.

لذلك لا يمكن اعتبار التهميش والفقر والبطالة هي العوامل الأساسية والوحيدة لانتشار ظاهرة السلفية والتطرف الديني لانتقال الشباب التونسي للقتال في سوريا[٥٦] فكثير من هؤلاء كان يسكن في الأحياء الراقية لتلك المدن، خاصة تونس العاصمة (المنار، وحي النصر والمرسى)، كما سكن عدد كبير منهم أيضا في أهم الأحياء الشعبية في المدن والقرى والبوادي؛ فالإرهاب في تونس وغيرها، نشط ووجد وتمدد في بيئات تتمتع بقدر كبير من الرخاء الاقتصادي، وانتمى إليه وقاده أفراد ينحدرون من عائلات موسرة[٥٧]؛ لذلك نعتقد أن العوامل الثقافية والدينية تلعب الدور الأساسي في اندفاع التونسيين وغير التونسيين للانتقال إلى سوريا وقتال النظام دون إلغاء دور العوامل الأخرى.

ب- المعتقلون[٥٨]:

تم الإعلان عن اعتقال الحكومة السورية نحو ٤٣ تونسيًا دخلوا البلاد بطريقة غير شرعية؛ منهم من باشر القتال ومنهم من استعد لذلك[٥٩]. ووفرت الحكومة نفسها معطيات حول عدد مهم منهم، فيما تمكنا من تحديد هويات آخرين كما يظهر ذلك من الجدول التالي:

اسم المحافظة	العدد	ملاحظات
تونس	١٠	منهم ٤ من المرسى
مدنين	٣	١ المدينة ٢ بنقردان
سوسة	٤	
المنستير	٢	
القيروان	٢	
بنزرت	٥	(٣٣) من المدينة و(١) ماطر و(١) منزل بورقيبة
نابل	١	قليبية
الجملة	٢٧	

٥٦- تقرير إعلامي: عنكبوت التطرف الديني يعشش في الأحياء التونسية الفقيرة http: //medinanews.info / ١٣ أكتوبر ٢٠١٣ لمياء ورغي.

٥٧- أفضل مثال انخراط الشباب السعودي في القاعدة وفي النصرة وداعش. وليس ما يؤكد أنهم من طبقات وفئات اجتماعية فقيرة، بل إن المؤشرات التي تدل على انتمائهم إلى عائلات موسرة تتواتر أكثر.

٥٨- الموقوفون التونسيون في سوريا: قائمة أولية لـ٤٣ تونسيًّا سيفرج عنهم في سوريا، 2013-6-6 http: //www.attounissia.com.tn/.
http: //tunisia-sat.com/vb//showthread.php?t=2238120
http: //www.taqadoumiya.net/12-5-2012

٥٩- عائد من سوريا، زهير لطيف يتحدث لحقائق أون لاين: تونسيون ذهبوا للجهاد فكان مصيرهم السجن والقمل والجرب! http: //www.hakaekonline.com/22-4-2013/.

ومن المعطيات المتوافرة، نلاحظ أن الأغلبية من هؤلاء كانوا سجناء بتونس بتهمة الإرهاب قبل إطلاق سراحهم بعد الثورة بمفعول قانون العفو التشريعي العام. أما انتماؤهم الجغرافي، فنلاحظ أن ١٠ من ٢٧ ينتمون جغرافيا إلى تونس الكبرى، و٦ من ٢٧ معتقلا ينتمون إلى منطقة الساحل، ثم تأتي محافظة بنزرت في المرتبة الثالثة.

ج- المواصفات العمرية:

أ - المواصفات العمرية للقتلى[٦٠]:

العمر	التكرار
١٩	.٤
٢٠	.١
٢١	.٢
٢٢	.٩
٢٣	١٠
٢٤	٣
٢٥	٧
٢٦	٣
٢٧	٥
٢٨	٥
٢٩	١١
٣٠	١
٣١	٣
٣٣	٢
٣٤	٢
٣٨	١
٣٩	٢
متوسط الأعمار ١٩ سنة ونصف	

٦٠- توافرت معطيات أساسية لـ٧١ حالة.

ب - أعمار المعتقلين[٦١]:

العمر	التكرار
٢٠	٢
٢٢	٤
٢٣	٢
٢٤	٣
٢٥	١
٢٦	٥
٢٧	٣
٢٨	٣
٢٩	١
٣٢	١
٣٩	٢
متوسط الأعمار ٢٦ سنة	

يظهر من العينتين أن متوسط أعمار المقاتلين هو ٢٦ سنة، فيما يبلغ عمر أصغرهم ٢٠ سنة، وأكبرهم سنا يبلغ ٣٩ سنة، وهم من ثم من الشباب حديثي عهد بالتدين، وغالبيتهم كان مقتنعا بما يعتبره جهادا في سوريا[٦٢]. وهو أمر يبدو طبيعيا؛ نظرا إلى تركيز الخطاب السلفي على الشباب، باعتبار قدراته على القتال، وانجذابه للتضحية و"المغامرة"، وحماسه لدينه ولقضايا العدل والحرية، وطمعا في الجنة والحوريات كما يزين لهم الفقهاء ورجال الدين الذين لهم مصلحة فيما يجري في سوريا.

ج- المواصفات التعليمية:

يبدو أن أغلب الشبان الذين سافروا للقتال هم من ذوي المستويات التعليمية الجامعية[٦٣]، وهو ما أكدته العينة؛ فبجانب المستوى التعليمي الجامعي، نلاحظ أيضا تنوعا للاختصاص، خاصة الاختصاص العلمي (دراسات تكنولوجية، وهندسة، وفنون جميلة، والمدرسة العليا للتجارة)، كما نجد المدرس وتاجر الملابس، وصاحب الأعمال الحرة وعامل المقهى، والسائق والتقني، والعاطلين عن العمل. وبالنسبة إلى المعتقلين، تمكنا من حصر ١٦ مهنة يمارسها المعتقلون؛ هي: ٦ طلبة أغلبهم من اختصاصات علمية وهندسية وإعلامية، و٣ عمال يوميون، و٤ تجار ملابس، و٢ أعمال حرة.

على أن السمة البارزة في هذه الظاهرة، هو انخراط عدد مهم من الرياضيين في التنظيمات السلفية الإرهابية. من ذلك أن تنظيم داعش قد أعلن مؤخرا عن مقتل ٥ من عناصره الحاملين للجنسية التونسية، ومنهم

٦١- توافرت معطيات لـ٢٧ حالة.

٦٢- عائد من سوريا، زهير لطيف يتحدث لحقائق أون لاين: تونسيون ذهبوا للجهاد فكان مصيرهم السجن والقمل والجرب!، تونس ٢٠١٣/٤/٢٢.

٦٣- عائلات المجاهدين التونسيين: ٣٠% من الجهاديين في سوريا يحملون الجنسية التونسية، www.mosaiquefm.net//٢٠١٣/١١/١٦.

أبطال في الرياضة وحائزون لجوائز عديدة[٦٤] بجانب عدد مهم من الرياضيين اللامعين الذين كانوا يمارسون نشاطهم، يلعبون في فرق وطنية وفي المنتخب الوطني[٦٥].

ويركز التكفيريون -كما الحركة الإسلامية الإخوانية في بدايتها- على اللياقة البدنية التي يتمتع بها الرياضيون عادة، وهو ما يختصر طريقهم في التأهيل، ويعتبرون "مادة خلما جاهزة لحمل السلاح، كما أن صغر سنهم واندفاعهم ومحدودية تحصيلهم العلمي والثقافي يلعب دورا مهما في استقطابهم[٦٦]. وهو أمر لا علاقة له بالتونسيين، بل هي ظاهرة عامة على ما يبدو. من ذلك أن لاعب كرة القدم الألماني ذي الأصول التركية بوارك كاران (٢٠ عاما) قد قتل في الحرب السورية[٦٧].

كما لا تبدو مشاركة المرأة في "الجهاد" سلوكا جديدا تزامن مع اندلاع الحرب أو القتال في سوريا بين التنظيمات السلفية (طرفا أساسيا) والنظام الحاكم، بل إن الأمر يبدو أقدم من ذلك[٦٨]. ويظهر أن مشاركة المرأة في هذه الحرب الأخيرة كانت أكثر تواترا من الحروب والمعارك التي خاضتها السلفية "الجهادية" في مناطق أخرى. وتحدثت بعض المصادر عن وفاة ١٨ امرأة تونسية، و١٠ مغربيات، و٧ سعوديات، و٦ شيشانيات، و٤ لبنانيات، أثناء مشاركتهن في الحرب ضد النظام السوري[٦٩].غير أن ما كان مفزعا هو بروز ظاهرة ما أطلق عليه "جهاد النكاح". ورغم التكذيبات التي جاءت من هنا وهناك، فإن وزير الداخلية التونسي قد أكد الأمر[٧٠].

خاتمة:

تفاعلت العديد من العوامل التي دفعت بالشباب التونسي إلى الانتقال، بأعداد كبيرة، إلى سوريا والالتحاق بالتنظيمات السلفية (أساسا) التي تقاتل نظام الأسد تحت شعارات وأهداف مختلفة. ومرت عملية انتقال التونسيين هذه للقتال في سوريا بمرحلتين:

٦٤- وهم: نضال السبوعي (بطل إفريقيا وبطل البحر الأبيض المتوسط في رياضة التايكوندو)، وناجح غابري (بطل تونس في رياضة التايكواندو)، واياد بوعزيزي، ومبروك حفظوني، وكمال بكاري (منتخب الجودو)، وأمين قانة، ولاعب كرة القدم بالنجم الساحلي نضال السالمي، انظر: تونسيون هجروا الرياضة نحو "الجهاد" بسوريا http: //www.aljazeera.net/، السبت ١٤٣٥/٦/٢٥ مجدي بن حبيب-تونس.

٦٥- مقتل لاعب النجم والمنتخب الوطني نضال السالمي في سوريا، http: //asslama.net/تونس ٢٠١٤/١٠/١٨، واسمه نضال السالمي من مواليد ١٩٩٣، لعب في صفوف أمال النجم الرياضي الساحلي وأواسط المنتخب الوطني لكرة القدم قبل سفره إلى سوريا للقتال. وقد تلقت العائلة خبر وفاة نضال عبر ابنها الثاني ريان الموجود كذلك في سوريا. وفاة لاعب كرة سلة (غيث النقاع) ينتمي إلى أحد أهم الفرق الرياضية في العاصمة تونس، كما توفي محمد حسن لاعب كرة قدم في أحد الفرق الأساسية في البلاد (درجة أولى)، وقُتل مؤخرًأحد أبرز اللاعبين في إحدى فرق الطليعة، ولاعب المنتخب الوطني للأواسط لكرة القدم في تونس، فيما لا يزال شقيقه يقاتل مع تنظيم داعش على الساحة السورية.

٦٦- الرياضيون من الميادين إلى ساحات الجهاد: مُنّونهم بالجنة وحور العين، ويقودونهم إلى الموت بالسلاسل http: //www.lemaghreb.tn/ ١٨ يوليو ٢٠١٤، سلاف الحمروني.

٦٧- تونسيون هجروا الرياضة نحو "الجهاد" بسوريا http: //www.aljazeera.net/، السبت ١٤٣٥/٦/٢٥ مجدي بن حبيب- تونس.

٦٨- مسألة المرأة عند السلفيين.. قراءة في تحولات الربيع العربي، http: //www.almassae.press.ma/، المغرب، ٢٠١٤/١/١٢، إدريس الكنبوري.

٦٩- استنادًا إلى دراسة ألمانية بعنوان «المقاتلون الأجانب في سوريا وجنسياتهم»، ٤ آلاف مسلح تونسي في أتون الحرب السورية: ٢٦٤٥ «قتيلًا» و١٣١٥ مفقودًا قدمتها جريدة http: //www.alchourouk.com/، ٢٠١٤/٢/٢.

٧٠- وزير الداخلية لطفي بن جدو في حوار ساخن لـ"الشروق": نداءات استغاثة تصلنا من شبابنا في سوريا http: //www.alchourouk.com/ ٢٠١٣/٩/٢٦.

- تميزت المرحلة الأولى بالاندفاع العاطفي/الديني والطائفي للشباب الإسلامي (السلفي وغير السلفي)؛ لمساندة الشعب السوري الذي يواجه "نظاما كافرا نصيريا مستبدا"، حسب الدعاية المركزة.
- أما المرحلة الثانية فيتداخل فيها العامل الديني (الجهاد) مع العامل النفعي (البزنس) بانتشار الشبكات متعددة الجنسيات، التي همها إغواء الشباب (المتدين وغير المتدين) للانتقال إلى سوريا للقتال والشهادة للظفر بالجنة. وقد أظهرت العينة انتماء أغلب المقاتلين (أسرى وقتلى) إلى منطقة الساحل خاصة، والمدن الساحلية عامة، لا إلى المدن الداخلية المهمشة بالضرورة، كما بين البحث انتماء العديد من هؤلاء إلى أسر موسرة، وليسوا كلهم من أسر وأحياء فقيرة. كما يبدو المستوى العلمي لإفراد العينتين مرتفعا؛ إذ إن الأغلبية من القتلى والأسرى من ذوي التحصيل الجامعي والعلمي أساسا.